السَّنة التاسعة والتِّسعون بعد المئة

فيها قدم الحسنُ بن سَهْلٍ من عند المأمونِ إلى بغدادَ مُستَقلًّا بالولايات.

وشخص طاهرٌ إلى الرقَّة في جُمادى الأولى، وشخص هَرْثَمَةُ إلى خُراسان.

وفيها خرج بالكوفة محمَّدُ بن إبراهيمَ [بنِ إسماعيلَ بن إبراهيم][1] بن الحسن بنِ الحسن بن عليِّ بن أبي طالب يوم الخميس لعشرٍ خَلَون من جمادى الآخرة، يدعو إلى الرِّضا من آل محمَّد ﷺ والعملِ بالكتاب والسنَّة. ومحمَّد هذا يقال له: ابن طَبَاطَبَا، وكان القيِّمَ بأمره في الحرب وغيرِها أبو السَّرايا [واسمه] السَّريُّ بن منصور، ويزعم أنَّه من ولد هانئ بن قَبيصةَ [بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيبان] الشَّيباني.

و[اختلفوا في] سبب خروجه [يعني خروج ابن طباطبا، فقال بعضُهم: سببه][2] صَرْفُ المأمون طاهراً عن العراق، وتوليةُ الحسن بنِ سهل [أخي الفضل بن سهل] العراق، وأنَّ الفضلِ بنَ سهل قد غلب على المأمون، وأنَّه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته وقوَّاده وخاصَّته، وتحدَّث الناس بذلك في العراق [فيما بينهم]، وأنَّ الفضل يُبرم الأمور دون المأمون، فغضب مَن بالعراق من بني هاشمٍ ووجوهِ الناس، وأَنِفوا من غلبة الفضلِ على المأمون، ووقع الخُلفُ، وهاجت الفتنُ في الأمصار، فكان ابن طَبَاطَبَا أولَ خارجٍ بالكوفة، فغلب عليها وعلى سوادها، وأجابه الأعرابُ من كلِّ مكان.

وقيل[3]: كان أبو السَّرايا من أصحاب هَرْثَمَة، طلب منه رزقَه فمَطَله، فغضب ومضى إلى الكوفة، فبايع ابنَ طباطَبا، وأطاعه أهلُ الكوفة [وبلغ الخبرُ إلى الحسن بنِ سهل] وكان على الكوفة سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور من قِبَل الحسن [بن سهل] فعنَّف الحسنُ [سليمانَ] على تخلُّفه وضعْفه، وبعث [الحسنُ] زُهَيرَ بن المُسَيِّب في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق لما في المصادر، انظر الطبري ٨/ ٥٢٨، والمنتظم ١٠/ ٧٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): وقال آخرون.

عشرة آلافٍ إلى الكوفة، فخرج إليه أبو السَّرايا، فالتقاه على القَنْطرة يومَ الخميس لليلةٍ خلت من رجب، فهزمه أبو السرايا، واستباح عسكرَه، وأخذ ما فيه [من مال وسلاح] وهرب زهير، وأصبح محمَّد بن طباطَبا ميِّتاً ثانيَ يوم الوقعة، فيقال: إنَّ أبا السرايا أخذ الأموال، فطلبها منه محمَّد فمنعه إياها، وعلم أنَّه لا أمرَ له معه، فسمَّه وأقام مكانَه صبيًّا أمردَ حَدَثاً يقال له: محمَّد بنُ محمَّد بنِ زيد بن عليٍّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فكان أبو السرايا هو الذي يتولَّى الأمور، ومحمَّد بن محمَّد معه صورةً، ورجع زهيرٌ من يومه الذي هُزم فيه فأقام بقصر ابن هُبَيْرة.

وكان الحسن بن سهلٍ قد جهَّز عَبْدوسَ بن محمَّد بنِ أبي خالدٍ المَرْوَرُّوذي[1] إلى النِّيل، فلمَّا بلغه هزيمةُ زهيرٍ قصد الكوفةَ في أربعة آلاف، فلقيه أبو السرايا يومَ الأحد لثلاثَ عشرةَ بقيت من رجب، فقتله، وأسر هارونَ ابن أبي خالد، واستباح عسكره، ولم يُفلت من الأربعة آلافٍ أحد، كانوا بين قَتيلٍ وجَريح وأَسير، وبلغ زهيراً قتلُ عَبْدوس، فانحاز بمن معه إلى نهر الملك، وضرب أبو السَّرايا الدراهمَ ونقش حولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤] وانتشر الطالبيُّون في البلاد.

ثم خرج أبو السرايا من الكوفة، فنزل قصرَ ابن هبيرة، وكانت طلائعُه تصل إلى كُوْثَى ونهرِ الملك، وبعث [أبو السرايا][2] جيوشاً إلى واسط والبصرة، وكان بواسطٍ عبدُ الله بن سعيدٍ الحَرَشيّ والياً عليها من قِبَل الحسن [بنِ سهل]، فخرج إليهم، فهزموه، فهرب إلى بغدادَ وقد قُتل من أصحابه جماعة وأُسر آخرون، فلمَّا رأى الحسن أنَّ أبا السرايا ومَن معه لا يَلقَون له جيشاً إلَّا هزموه، وليس معه من القوَّاد مَن يقوم بحربه، اضطرَّ إلى هَرْثَمَة.

وكان هَرْثَمَةُ لما قدم الحسنُ بغدادَ بيده أعمال، فسلَّمها إلى الحسن، ومضى مُغاضِباً له إلى خُراسان، فأرسل الحسنُ خلفه صالحاً صاحبَ المصلَّى، والسِّنديَّ[3] وجماعةً من القوَّاد ليردُّوه إلى العراق، فصادفوه بحُلوان، وسألوه الرجوعَ إلى بغداد

(١) في (خ): المروزي، وفي (ب): البروري، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٠، وابن الأثير ٦/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٦، وانظر المنتظم ١٠/ ٧٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): صاحب المصلى السندي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٠، والمنتظم ١٠/ ٧٥.

فامتنع، فلاطفه السِّندي، فعاد إلى بغدادَ في شعبانَ وتهيَّأ للخروج إلى أبي السرايا، وبعث الحسنُ عليَّ بن أبي سعيدٍ إلى المدائن وواسط، وبلغ أبا السَّرايا أنَّهم على عزم ذلك وهو بقصر ابنِ هُبَيْرة، فوجَّه بعضَ أصحابه إلى المدائن فدخلوها، وجاء بنفسه فنزل نهرَ صَرْصَرَ مما يلي طريقَ الكوفة في شهر رمضان.

وكان الحسن لمَّا تأخرَّ قدومُ هَرْثَمَةَ عليه أمر منصور بنَ المهديِّ أن يخرجَ فيعسكرَ بالياسرية[١] إلى حين قدومِ هَرْثَمَة، فخرج فعسكر بها، فلمَّا قدم هَرْثَمَة خرج فعسكر بين يدي منصور، ثم مضى حتى عسكر بنهر صَرْصَرَ بإزاء أبي السرايا والنهرُ بينهما، وكان عليٌّ ابن أبي سعيدٍ قد عسكر بكَلْواذى، فشخص عليٌّ يوم الثلاثاء بعد الفطرِ بيوم، ووجَّه مقدِّمتَه نحو المدائن، فقاتلوا أصحابَ أبي السرايا غداةَ الخميس إلى الليل قتالاً شديداً، فانكشف أصحابُ أبي السرايا، وأخذ عليٌّ المدائن، وبلغ أبا السرايا أَخْذُ عليٍّ المدائن، فرجع يومَ السبت لخمسٍ خلون من شوَّالٍ إلى قصر ابنِ هبيرة فنزل به، ورحل هَرْثَمَةُ من صرصرَ طالباً له، فلقي في طريقه جماعةً كبيرة من أصحاب أبي السرايا، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بنِ سهل، فلمَّا صار هَرْثَمَةُ إلى قصر ابنِ هبيرة، كانت بينه وبين أبي السرايا [وقعةٌ قُتل فيها من أصحاب أبي السرايا][٢] خلقٌ كثير.

وانحاز أبو السرايا إلى الكوفة، ووثب محمَّد بن محمَّد ومَن معه من الطالبيين على دورِ مَن بالكوفة من بني العباس، ودورِ مَواليهم وأَتباعهم، فأنهبوها وهدموها وحرقوها، وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا أعمالاً قبيحة، واستخرجوا الودائعَ التي كانت لهم عند الناسِ فأخذوها، وكان هَرْثَمَةُ يذكر أنَّه يريد الحجَّ في هذه السَّنة، فحبس حاجَّ خُراسانَ والجبالِ والعراق والجزيرة وبغداد، فلم يدعْ أحداً يخرج؛ رجاءَ أن يأخذَ الكوفة فيكونَ هو صاحبَ الموسم[٣].

وبعث أبو السرايا إلى مكةَ حسينَ بن حسن بن عليٍّ [بن علي][٤] بن حسين[٥] بن

(١) في (خ): بالناس به، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣١.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣١، وابن الأثير ٦/ ٣٠٦، وانظر المنتظم ١٠/ ٧٥.

(٣) من قوله: فلما رأى الحسن أن أبا السرايا ومن معه . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من الكامل ٦/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٧، ومطبوع البداية والنهاية ١٤/ ١١١.

(٥) في (خ) و(ب): حسن، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٢، والمنتظم ١٠/ ٧٦، والكامل، وتاريخ الإسلام، والبداية والنهاية.

عليِّ بن أبي طالب، ويقال له: الأفطس[١]، وبعث إلى المدينة محمَّد بن سليمانَ بنِ داود بن الحسن بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب، وكان على مكةَ والمدينةِ داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليّ.

فأمَّا محمَّد بنُ سليمان، فدخل المدينةَ ولم يقاتلْه أحد، وأما حسين بنُ حسن، فإنَّه لمَّا قرب من مكةَ توقَّف عن الدخول، لأجل داودَ بن عيسى ومَن فيها من الأشراف والجند، وكان داودُ لما بلغه وصولُ حسين بنِ حسن، جمع العبيدَ وموالِيَ بني العباس، وكان مَسرورٌ[٢] الكبير قد حجَّ في هذه السَّنة ومعه مئتا فارسٍ من أصحابه، فقال مسرورٌ لداود: قف لأرى شخصَك، أو أَقِم بعضَ ولدك وأنا أكفيك قتالَهم، فقال داود: لا أستحلُّ القتال في حَرَم الله، ولئن دخلوا من هذا الفجِّ لأخرجنَّ من الفجِّ الآخرَ، فقال مسرور: تسلِّم سلطانَك وملكك إلى عدوِّك؟! فقال: وأيُّ ملك إليّ، واللهِ لقد أقمتُ معهم حتى شِخت، فما ولَّوني ولايةً حتى كبرت سنِّي وفني عمري، فولَّوني الحجازَ وليس فيه قُوت، وإنَّما هذا الملكُ لك ولأمثالك، فقاتِلْ إن شئت أو دَعْ.

وانحاز داودُ من مكةَ إلى ناحية المُشَاش، وشدَّ أثقالَه على الإبل واستقبل بها طريقَ العراق، وافتعل كتاباً من المأمون بتولية ابنه محمَّد بن داودَ على صَلاة الموسم، وقال له: اخرج فصلِّ بالناس الظهرَ والعصر والمغربَ والعشاء بمِنى، وبِتْ بها، وصلِّ بالناس الفجر، ثم انطلق إلى طريق عَرَفة، وخذ على يسارك في شعب عَمرٍو[٣] حتى تأخذَ على طريق المُشاش، والحقني ببستان بني عامر، ففعل محمَّد ذلك ولم يقف بعرفة.

وافترق الجمعُ الذين كان داودُ قد جمعهم من الموالي والعبيد، وخشي مسرورٌ إنْ قاتل الطالبيين أن يميلَ معهم أكثرُ الناس، فلحق بداودَ إلى بستان بني عامرٍ ولم يقف بعرفة، فلمَّا زالت الشمسُ تدافع قومٌ من أهل مكةَ الصلاة، وقال الناسُ لمحمَّد بنِ عبد الرَّحمن المخزوميِّ قاضي مكة: تقدَّم فاخطب وصلِّ بالناس الظهرَ والعصر، فإنَّك قاضي البلد، فقال: قد هرب الإمام، فلمن أدعو والطالبيُّون قد أطلُّوا علينا؟! وقالوا:

(١) الأفطس لقب والده الحسن، كما في المصادر، وما بعدها إلى الترجمة التالية ليس في (ب).

(٢) في (خ): مسور في الموضعين، والمثبت من المصادر.

(٣) في (خ): عمر، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٨.

لا تدعُ لأحد. فأبى، فقدَّموا رجلاً من أهل مكَّة، فصلَّى بالناس الصلاتين بغير خُطبة.

ثم وقف الناس بعرفةَ بغير إمام، وحسينُ بن حسن واقف بسَرِف، فخاف أن يدخلَ مكة، فخرج إليه قومٌ من الطالبيين فأخبروه أنَّ البلد ليس فيه أحد، وأنهم قد خرجوا متوجِّهين إلى العراق، فدخل حسينٌ مكة يومَ عرفةَ قبل المغرب، ومعه أناسٌ دون العشرة، فطافوا بالبيت، وسعَوا بين الصَّفا المروة، ثم توجَّهوا إلى عرفةَ في الليل فوقفوا بها، ثم رجعوا إلى مزدلفة، فصلَّى حسينٌ بالناس الفجرَ بعد أن وقف على قُزَحَ[1] ساعة من الليل، ثم أقام بمِنى أيامَ الحجّ، ثم دخل مكَّة، فأقام بها حتى انقضت هذه السَّنة، وأقام محمَّد بن سليمانَ بالمدينة، وانصرف الناس من مكةَ وقد أفاضوا بغير إمام.

وأما هَرْثَمَة، فواقع أبا السَّرايا في المكان الذي واقع به أبو السرايا زهيراً، وقيل: عند قريةٍ يقال لها: شاهي، فكانت الهزيمة في أوَّل النهارِ على هَرْثَمَة، وفي آخره على أبي السرايا، وكان هَرْثَمَةُ حريصاً على الحج، فلمَّا رأى أنَّه لا يقدر عليه، خاف على الحاجِّ من أبي السرايا، فردَّهم إلى بغداد، وتفرَّقوا في كلِّ وجه، وشرع هَرْثَمَةُ فكاتب وجوهَ الكوفة وأشرافَها.

فصل وفيها توفي

سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور

وكُنيته أبو أيوب. ولي دمشقَ وغيرها، وكان جَواداً. [قال الخطيب[2]: وإليه يُنسب دربُ سليمانَ ببغداد.

وروى أبو الفضل بنُ ناصرٍ له حكايةً فقال: حدَّثنا المبارك بنُ عبد الجبَّار بإسناده إلى محمَّد بنِ الحسن، عن أمِّ إبراهيمَ بنتِ جميل، عن] عُبيد اللهِ الشَّرَوي[3] قَهْرَمانِ [سليمانَ بن أبي جعفر][4]: مرض سليمان، فعاده الرشيد، فرأى عنده جاريةً فائقة

(١) جبل بالمزدلفة. القاموس المحيط (قزح).

(٢) في تاريخه ١٠/ ٣١، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): السروري، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٠/ ٧٨.

(٤) في (خ): قال عبيد الله الشروي قهرمانه ...

الجمالِ يقال لها: ضعيفة، فوقعت في قلبه، فطلبها منه، فدفعها إليه، واشتدَّ مرضُه لفراقها، فقال: [من مجزوء الكامل]

أشكو إلى ذي العرشِ ما ... لاقَيتُ من أمر الخليفهْ[1]
يَسَع البَريَّةَ عَدلُه ... ويُريد ظُلمي في ضَعيفه[2]
عَلِقَ الفؤادُ بحبِّها ... كالحِبر يَعْلَق في الصَّحيفه

وبلغ هارونَ فردَّها عليه.

[حدَّث سليمانُ عن أبيه] وكانت وفاتُه في صفرٍ وهو ابنُ خمسين سنة.

وفيها توفي

أبو الحسن البَصْري

[عليُّ بن بَكَّار][3] كان عالماً زاهداً متعبِّداً، انتقل من البصرة فنزل المِصِّيصة، فأقام بها، وكان صاحبَ كرامات.

[قال أبو نُعيم بإسناده عن موسى بنِ طريف[4] قال:] كانت الجاريةُ تفرش له الفراش، فيلمسه بيده ويقول: واللهِ إنك لطيِّب، واللهِ إنَّك لبارد، واللهِ لا عَلوتُك الليلة. فكان يصلِّي الغداةَ بوضوء العَتَمة.

[وحدَّثنا جدِّي عن سعد اللهِ بن عليٍّ البزَّاز ومحمَّد بن عبد الباقي قال: حدَّثنا أحمدُ بن محمَّد بنِ حَسْنون بإسناده إلى أحمدَ بن مَرْزوق قال:][5] خرج أبو إسحاقَ الفَزاريُّ وعليُّ ابن بكَّارٍ وأنا معهم إلى ظاهر المِصِّيصة نحتطب، فغاب عنَّا علي، فخفنا عليه، فجعلنا نطوف، وإذا به جالسٌ وفي حجْره رأسُ السَّبع، والسَّبُع نائم وهو يذبُّ عنه، فقال له أبو

(١) في أشعار أولاد الخلفاء ص١٢، والوافي ١٥/ ٣٩٤:

ربي إليك المشتكى ... ماذا لقيت من الخليفة

وفيهما أن القصة جرت مع المهدي لا مع الرشيد.

(٢) في أشعار أولاد الخلفاء والوافي: ويضيق عني في ضعيفه.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في حلية الأولياء ٩/ ٣١٨: طرفة. والمثبت موافق لما في صفة الصفوة ٤/ ٢٦٦، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ): وقال أحمد بن مرزوق ...

إسحاق[١]: ما قعودُك هاهنا؟! فقال: لجأ إليَّ هذا فرحمته، وأنا أنتظره حتى ينتبه.

وحكى أبو نُعيم قال: جاءه رجلٌ فقال له[٢]: حُذَيْفةُ المَرْعَشيُّ يسلِّم عليك، قال: وعليه السلام، واللهِ إنِّي لأعرفه يأكل الحلالَ منذ ثلاثين سنة، ولا أحبُّ لقاءه، قال: ولِمَ؟! قال: أخاف أن أتزيَّنَ له فأسقطَ من عين اللهِ عزَّ وجلّ.

وقال الخطيب[٣]: بكى عليُّ بن بكَّار حتى عمي، وكانت الدموع قد أثَّرت في خدَّيه، وطُعن في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على السَّرج، فشدَّها بعمامته وردَّها إلى بطنه، وقتل ثلاثةَ عشرَ عِلْجاً. ومات بالمِصِّيصة [في هذه السَّنة].

أسند عن هشام بنِ حسَّان وأبي إسحاقَ الفَزاري وغيرِهما، وصحب إبراهيمَ بن أدهمَ وتأدَّب به.

عُمارة بن حَمْزةَ[٤]

ابن مالك بن يزيدَ بن عبدِ الله، مولى العباسِ بن عبد المطَّلب.

أحدُ الكتَّاب البُلَغاءِ الأجواد. ويقال: هو من ولد عكرمةَ مولى بني العبَّاس. ولَّاه أبو جعفرٍ خراجَ البصرة. وكان فاضلاً، إلَّا أنه كان فيه تِيهٌ شديد، وبه يُضرب المثل، فيقال: أَتْيَهُ من عُمارة.

وقال إبراهيمُ بن داود: استأذن قومٌ عليه ليشفعوا إليه في برِّ قومٍ أصابتهم جائحة، فأمر لهم بمئة ألفِ درهم، فاجتمعوا ليدخلوا عليه في الشُّكر له، فقال لحاجبه: أَقرئهم سلامي وقل لهم: إنِّي قد رفعت عنهم ذلَّ المسألة، فلا أُحمِّلهم مؤونةَ الشكر.

وقال عبدُ الله بن أيُّوب: بعث أبو أيُّوبَ المكِّي بعضَ ولده إلى عُمارة، فأدخله الحاجبُ وعمارةُ مضطجع قد حوَّل وجهه إلى الحائط، فقال الحاجب: سلِّم، قال:

---

(١) في (خ): يا أبو إسحاق، وهو خطأ، والمثبت من (ب)، وانظر القصة في صفة الصفوة ٤/ ٢٦٧.

(٢) في (خ): وقال له رجل ...، والكلام في الحلية ٩/ ٣١٨-٣١٩.

(٣) لم نقف لعلي بن بكار على ترجمة في تاريخ بغداد.

(٤) سماه ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٧٩ عامر بن حمزة، وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٦، والسير ٨/ ٢٧٥. وهذه الترجمة ليست في (ب).

فسلَّمت فلم يردّ، فقال الحاجب: سَلْ حاجتَك، فقلت: لعله نائم، قال: لا، اذكر حاجتك، فقلت: جعلني اللهُ فداءك، أخوك يُقرئك السلامَ ويذكر دَيناً منعه من لقائك، ويسألك أن تكلِّم أميرَ المؤمنين في قضائه عنه، فقال: وكم دَين أبيك؟ قلت: ثلاثُ مئة ألفِ درهم، قال: وفي مثل هذا أكلِّمُ أمير المؤمنين! يا غلام، احمل معه ثلاثَ مئةِ ألف درهم، قال: وما التفت إليَّ ولا كلَّمني بغير هذا.

وقال الفضلُ بن الربيع: كان أبي يأمرني بملازمة عُمارة، وكان المهديُّ سيِّئ الرأي فيه، فمرض عمارة، فقال أبي للمهدي: يا أميرَ المؤمنين، مولاك عُمارة عَليل، وقد أفضى الأمرُ به إلى بيع فراشه وكِسوته، فقال المهدي: غَفَلْنا عنه، ما كنت أظنُّ أن الأمر يبلغ به إلى هذا، يا ربيع، احمل إليه خمس مئةِ ألف درهم، وأَعلِمْه أنَّ له عندي بعدها ما يحب. فحملها أبي من ساعته وقال: اذهبْ بها إلى عمِّك وأَقرئه عني السلام، وأخبره أنني عرَّفت أميرَ المؤمنين حالَك، فقال كذا وكذا، وأمر لك بهذه الدارهم.

قال: فأتيته وهو مُضْطَجعٌ ووجهُه إلى الحائط، فسلَّمت عليه، فقال: مَن أنت؟ قلت: ابن أخيك الفضلُ بن الربيع، قال: مرحباً بك، ما الذي جاء بك؟ قلت: أخوك أبي يقرئك السَّلام، ويقول: ذكرتُ لأمير المؤمنين أمرَك وما أنت فيه، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بخمس مئةِ ألف درهم، وقال: لك عندي ما تحبّ، وها هي على البغال واقفةٌ على الباب، فقال: قد كان طال لزومُك لنا، وكنا نحبُّ أن نكافئك على ذلك، ولم يمكِنَّا قبل هذا الوقت، انصرف بها فهي لك، قال: فهبته أن أردَّ عليه، فتركت البغالَ على بابه، وانصرفت إلى أن جئتُ إلى أبي فأَعلمته الخبر، فقال: يا بُني، خذها بارك اللهُ لك فيها، فإنَّ عمارةَ ليس ممن يُرادّ. فأخذتها فكانت أولَ مالٍ ملكته.

[يوسُفُ بن أسباط]

أبو محمَّد الشِّيحي[1]. من قريةٍ من قرى أنطاكية. يقال: كان زاهداً عابداً، يسكن الثُّغور والعواصم.

وقال الحافظ ابنُ عساكر: كان أبوه أسباطُ بن واصلٍ الشَّيباني شاعراً، مدح يزيدَ

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨، والمنتظم ١٠/ ٨١، والسير ٩/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٥٥.

ابن الوليد النَّاقص، وكان قَدْرُ ما خلف أسباط مئةَ ألف درهم، لم يأخذْ منها يوسفُ درهماً، وكان يقول: أهل مِلَّتين لا يتوارثان.

وكان يوسفُ يَطْحَن الشعيرَ بيده فيأكل منه، ويَسُفُّ الخوصَ ويبيعه، ويُفطر على ثمنه، فإذا نَفِد الشعيرُ والخُوص استفَّ التراب. وكان يغزو ولا يأخذ من المَغْنَم شيئاً، ولم يأخذ من تَرِكة أبيه، ويقال: إنَّه أخذ مصحفاً، وكان يقول: في قلبي منه شيء. وصحب سفيانَ الثوريَّ وانتفع بصحبته.

وحكى أبو نُعيم[١] عنه أنَّه قال: لي أربعون سنةً ما ملكت قميصين. قال: وخرجت من شيحَ راجلاً إلى المِصِّيصة وجِرابي في عنقي، فدخلتها، فقام هذا من حانوته وقام هذا، فجعلوا يُسلِّمون علي، ودخلت المسجد، فأحدقوا بي، فقلت في نفسي: وكم بقاءُ قلبي على هذا، فرجعت إلى شيحَ، فما عاد قلبي إليَّ سنتين.

وحكى أبو نعيم عنه أنَّه قال: عجبتُ كيف تنام عينٌ مع المخافة أو تغفل[٢]. وقال: خلق اللهُ القلوبَ مساكنَ الذِّكر، فصارت للشَّهوات، ولا يمحو الشهواتِ عنها إلا خوفٌ مُزعج، أو شوقٌ مُقلق.

وقال: الزُّهد[٣] في الرئاسة أشدُّ من الزُّهد في الدنيا، ولي أربعون سنةً ما حكَّ صدري شيءٌ إلا تركته. وقال: أخاف أن يعذِّبَ اللهُ الناسَ بذنوب العلماء. وقال: قد رُفع الصدقُ من الأرض.

وقال أبو نُعيم[٤]: استأذن عبدُ الله بن المبارك على يوسفَ بنِ أسباطَ فلم يأذن له، وقال: أخاف ألَّا أقومَ بحقِّه ولا أفي بذلك، فآثم. وقال يوسف: إذا رأيتَ الرجلَ قد أَشِر وبَطِر فلا تَعِظْه؛ فليس فيه للوعظ مَطْمَع. وقال: إنَّ الدنيا لم تُخلَق لينظرَ إليها، بل لِيُنْظَرَ بها إلى الآخرة.

وقال: وكان الفضيلُ بن عياضٍ يقول: ما بقي شيءٌ أتمنَّاه على ربِّي إلا خروجي إلى

---

(١) في حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤.

(٢) انظر الأثر في حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨.

(٣) في (ب): الزاهد، والتصويب من الحلية ٨/ ٢٣٨.

(٤) في الحلية ٨/ ٢٣٩.

الثَّغر، لا لأجل الجهاد، بل لأجل النَّظرِ إلى وجه يوسفَ بن أسباط.

وقال أبو نُعيم: صحب يوسفَ بن أسباطَ فتًى من أهل الجزيرة، فلم يكلِّمه الفتى عشر سنين، وكان مشغولاً بالخوف والبكاءِ والعبادة، فقال له يوسف: ما حالُك؟ فقال: كنت نبَّاشاً، فكنت أرى الوجوهَ قد حوِّلت إلى غير القِبلة، فاختلط يوسفُ من ساعته.

وكان يوسفُ يقول: أشتهي أن أموتَ ولا أتركَ درهماً، وكان معه بضعُ دراهمَ من سفِّ الخوص، فمات ولم يخلِّف سواها، فكفَّنوه منها، وكان قد أوصى بها لكفنه. وقيل: كان معه عشرةُ دراهم، فأنفق تسعةً في مرضه وبقي درهمٌ واحد، فمات، فاشتروا له به حَنُوطاً. وكانت وفاته بالمِصِّيصة في هذه السَّنة، وقيل: في سنة خمسٍ وتسعين ومئة.

أسند عن هشام بن عروةَ والثوريِّ وغيرهما، ثم اشتغل بالعبادة عن الرِّواية[1].

وفي الرُّواة ثلاثة اسمُ كلِّ واحدٍ يوسفُ بن أسباط: أحدُهم هذا، والثاني روى عنه يحيى بنُ عبد الملك، والثالث مَوْصِليّ، روى عنه أبو الفَتْح الأزْديُّ المَوْصلي. والحمدُ لله وحده، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم.]

(١) انظر التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، ومشاهير علماء الأمصار ص١٨٦، وحلية الأولياء، وصفة الصفوة ٤/ ٢٦١، والسير ٩/ ١٦٩، وهذه الترجمة ليست في (خ).